

إعداد:

هشام المنشاوي

الحلقة

10

مكثت في الحبشة ثلاثة عشر عاماً

أسماء بنت عميس ... تزوجت ثلاثة من المبشرين بالجنة

وكانوا خير معين للصحابة الكرام في جميع المجالات: العلمية منها، والجهادية (القتالية)، والطبية... فظهرت الفقيهات منهن والمقاتلات والطبيبات... وعلى كافة الأصعدة، وتميزن برجاحة العقل وصواب الرأي، فهن بهذا يستحقن بأن يكنن قدوة ساطعة عبر التاريخ لمن بعدهن. فجاء هذا الكتاب، ليلسط الضوء على النساء الجليلات اللاتي ساندن الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم أجمعين. لقد نزل الإسلام ديناً حسناً يدافع عن المظلوم دون النظر إلى جنسيته وعرقه وجنسه ومنشئه فالإنسان هو الإنسان من أي أرض كان، وما زال يعتني بالمرأة حتى كانت وصية رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قبل موته لأصحابه فهنّ القوارير ولكن مع الانفتاح العالمي والتأثر بالعالم الغربي بدأت تتشكل حول العيون الإسلامية بعض الغشاوة في أن القانون الغربي يرفع من شأن المرأة.

المرأة في عصرنا هذا قد ابتعدت كثيراً عن الكتاب والسنة وما كانت عليه الصحابييات رضي الله عنهن ونساء فجر الإسلام اللاتي لا يتحدثن مع أجنبي إلا من وراء حجاب في الأمور الضرورية ولا يخضعن بالقول حتى لا يطمع الذي في قلبه مرض.

إذا نظرنا لأي مجتمع في الوجود نجد بأنه يتكون من الرجال والنساء، ولكل دوره ومكانته الإنسانية والقيادية والاجتماعية وعلى هذا فإن المجتمع الذي كونه النبي صلى الله عليه وسلم كان مجتمعاً مثالياً وسامياً بمعنى الكلمة، فهو المرابي الرباني الأول، والصحابية رابعهم القرآن التزبية الإيمانية الكاملة التامة، فأخلصوا لدينهم وأحبوا مربيهم، فكانت الإنجازات الباهرة في فترة محدودة وعلى جانب آخر برز لنا دور النساء والمساند لدور الرجال، إما أمهات أو زوجات أو بنات أو أخوات تربوا على مائدة الرسول صلى الله عليه وسلمن

كن عليها ولتجعل منهن قدوة حسنة ومشاعل تنير أمامها الطريق وستجد الأخت المسلمة بين دفتي هذا البحث أربعين نموذجاً من سير الصحابييات الجليلات اللاتي صححن فجر الدعوة وشاركن فيها وارتفعن بالإسلام إلى آفاق سامية ما كن يستطعن الوصول إليها لو لا صدق الإيمان وإخلاص العمل، لقد كانت كل واحدة منهن مثلاً قديراً لمن أيد الدعوة وحمل الراية، ودافع عن الحق ووقف كالطود الشامخ من حول رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤيده ويناصره وعسى أن يكون في هذا السلسلة من الحلقات التي تقدمها جريدة "الوسط" ما يقود خطا النساء والمسلمين على طريق الإيمان، ومما يذكرهن بحياة تلك النسوة اللاتي هانت عليهن في سبيل الله المكاره وأفضى يقين الإيمان إلى قلوبهن وسيطر على نفوسهن وعقولهن، فآثرن الأجل على العاجل والدائم على الفاني، ففرزن برحمة الله ورضوانه.

الإسلام أكرم المرأة أيما إكرام، بنتاً كانت زوجاً أو أمّاً، أو أختاً، وقد ذكر القرآن الكريم عدداً من النساء اللاتي كان لهن دور بارز في تاريخ البشرية كحواء وأم موسى وزوج فرعون ومريم بنت عمران، ونزلت آيات من القرآن في عدد من النساء وأفردت من القرآن للنساء سورتان هما سور النساء وسور الطلاق، وتحدث القرآن عن المؤمنات اللاتي جئن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مبايعات أو مهاجرات كما بينته صورة المتحنة، وما ذاك إلا لأن للمرأة دوراً كبيراً في المجتمعات.

إن المرأة المسلمة تقع تحت ضغوط تكاد تبعداها عن منابع الإسلام الأولى وتحول بينها وبين تفهم رسالته، لهذا كان علي المرأة المسلمة: أن تتعرف على نساء الرعيل الأول من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، بمعرفه سيرهن وأخبارهن، لتدرك الحال التي

الصحابية التي نقلت فكرة صناعة نعش الميت إلى جزيرة العرب

غضبت من عمر لأنه قال لها سبقناكم بالهجرة يا أسماء فنحن أحق برسول الله

أنجبت أسماء ابنها عبدالله بن جعفر وكان أول مولود للمسلمين في الحبشة

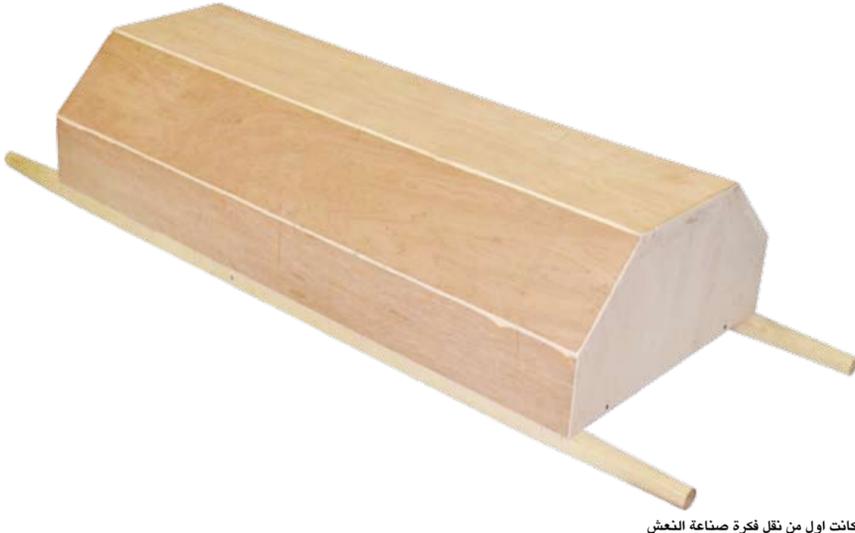
أبي طالب لم يكن جعفر زوجاً عادياً أبداً، فقد كان من أولئك القلة المميزين الذين يشار إليهم بالبنان وإنما ارتحلوا وحيثما حلوا، كانت أسماء مسرورة بهذا وكثيراً ما كانت تفخر على صويحباتها بأنها زوجة لجعفر بن أبي طالب.

إنه جعفر المهاجر الذي تكلم أمام النجاشي باسم المسلمين داعياً إلى الإسلام ومآ تلى بضع آيات من مريم22%، "سورة مريم بكى النجاشي وقال: "والله إن هذا والذي جاء به المسيح ليخرج من مشكاة واحدة" أي من أصل واحد هو إله السماء، أيضاً لا تنسى أسماء استقبال النبي صلى الله عليه وسلم لزوجها جعفر حين عاد في السنة السابعة للهجرة مع مهاجري الحبشة إلى المدينة المنورة كان ذلك بعد غزوة خيبر فقد عاتقه النبي صلى الله عليه وسلم وقبّله وهو يقول لأصحابه لا أدري بأيهما أفرح بفتح خيبر أو بقدوم جعفر، كان صلى الله عليه وسلم يحب زوجها جعفر وكثيراً ماكان يقول لجعفر: «أشبهت خلقي وخلقي» (صحيح البخاري [4251]) لا تنسى أسماء زيارات النبي صلى الله عليه وسلم المتكررة إلى بيتهما ومحبة لا ولاءهما عبد الله وعون ومحمدلم تستمتع أسماء وعائلاتها بهناءة الاستقرار في المدينة المنورة سوى ستة وثلاثة آلاف مقاتل من صحابته إلى بلاد الشام قرر النبي صلى الله عليه وسلم أن يرسل ليؤدّب بهم ملك بصرى شريحيل بن عمر الغساني الذي قتل الحارث بن عمير الأسدي الصحابي الذي حملته النبي صلى الله عليه وسلم رسالة يدعوها فيها إلى الإسلام فقتله، مع أن الرسول لا يقتل حسب أعراف ذلك الزمان، وملك بصرى هذا كان مولىاً للرومان آنذاك.

أمر النبي صلى الله عليه وسلم على الجيش ثلاثة أمراء على التوالي فقال: «أمير الناس زيد بن حارثة فإن قتل جعفر بن أبي طالب فإن قتل فعيد الله بن رواحة» (دفاع عن الحديث [29])، وصلت أخبار تحرك هذا الجيش إلى هرقل عظيم الروم فجمع عدداً ضخماً من المقاتلين وكذلك فعل شرحبيل بن عمر ملك بصرى والتحم القتال بين الجيشين في مؤتة من بلاد الشام فلما قتل زيد بن حارثة أخذ الراية جعفر بن أبي طالب فابلى بلاءً حسناً، يروى أنه نزل عن فرسه فعفرها ثم قاتل الروم وهو يرتجز: ياحبذا الجنة واقترباها طيبةً وبارد شرابها والروم روم قد دنى عذابها كافرّة بعيدة أنسابها علي إذ لاقيتها ضرابها

ظلّ رضي الله عنه يقاتل حتى استشهد في سبيل الله وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فأخذ الراية عبد الله بن رواحة فلما استشهد اتفق المسلمون على تأمير خالد ابن الوليد فأخذ اللواء وقاتل المشركين حتى وتوا مدبرين فاكفني بهذا وانحاز بجيشه عائداً إلى المدينة.

شاع خبر استشهاد الأمراء الثلاثة في



كانت اول من نقل فكرة صناعة النعش

هزلية يخوضون بها غمار البحر وأمواجه العاتية ويواجهون المتاعب والأهوال إلى أن وصلوا إلى الحبشة، كم لقي هؤلاء المهاجرون من التعب والنصب وحتى أنهم انقطعلت عنهم أخبار أحبائهم وأهاليهم في مكة ولم يعلموا بهجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة المنورة، إلى أن أرسل النبي صلى الله عليه وسلم رسالة مع عمر الصحابي عمر بن أمية الضمري إلى ملك الحبشة يدعوها فيها إلى الإسلام ويطلب منه أن يرسل إليه من بقي من المسلمين في بلاده. في هذا الوقت العصيب الذي كانت فيه أسماء وبقية المهاجرين والمهاجرات إلى الحبشة يعانون الأمرين، كان عمر رضي الله عنه ينعم بصحبة النبي صلى الله عليه وسلم مع بقية الصحابة الكرام ويستمعون إلى أحاديثه وتعاليمه فهل أولئك كهؤلاء؟ صحيح أن المهاجرين إلى الحبشة وجدوا فيها الأمن والطمأنينة والحرية الدينية ولكن هذا كله لم يكن ليعوضهم عن لقاء النبي صلى الله عليه وسلم ولا يروي ظمأهم إلى العلم الذي افتقدوه منذ أن هاجروا، إذن هنيئاً لأسماء بنت عميس ولكل من هاجر إلى الحبشة أن يحظوا بهذا اللقب "أصحاب الهجرتين".

جعفر بن أبي طالب

كانت أسماء بنت عميس وزوجها جعفر بن أبي طالب من السابقين إلى الإسلام منذ أن كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الإسلام سراً، في الحبشة أنجبت أسماء لزوجها جعفر ثلاثة أولاد هم عبدالله بن جعفر وكان أول مولود للمسلمين في الحبشة ثم محمد وعون، ومحمد وعون ابنا جعفر بن

الحبشة وذلك في سبيل الله ورسوله"، صمحت أسماء هنيهة وكانها تتبلع ريقها وتتلع مع الام الغربية والكربة حين كانت في الحبشة ثم أزدفت قائلة: "وأيّ الله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أذكر ماقلت يا عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيغ وقد أنصفته والله بقولها: "لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيغ عليه".

يروى الإمامان البخاري ومسلم أنها شكت للنبي صلى الله عليه وسلم ما عيرها به عمر فابتسم النبي صلى الله عليه وسلم وقال: «ليس بأحقّ بي منكم له ولأصحابه هجرة واحدة ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان» (البخاري [4230])، لم تسعها الدنيا من الفرحة فلها ولأخوانها الذين هاجروا إلى الحبشة نواباً يفوق ثواب عمر وأصحابه المهاجرين إلى المدينة، لها نواب الهجرة إلى الحبشة ونواب الهجرة إلى المدينة المنورة، مرعت أسماء وأخبرت زوجها جعفر وأخوتها في الله تعالى الذين صحبتهم في الحبشة بقول النبي صلى الله عليه وسلم ففرحوا بذلك فرحاً شديداً.

لم يكن في الدنيا شيء أعظم عندهم مما قاله النبي صلى الله عليه وسلم في حقهم لأصحاب السفينة هجرتان، ولكن من هم أصحاب السفينة؟ علينا أن نعود إلى الورا أربعة عشر عاماً تقريباً أي السنة الخامسة من البعثة حين صبّت قريش جام غضبها على المسلمين، فنصح النبي صلى الله عليه وسلم أصحابها بالهجرة إلى الحبشة لأن فيها ملكاً لا يظلم عنده أحداً، فاستجاب لهذه النصيحة ثمانون صحابياً وصحابية شذوا الرحالم من مكة المكرمة حتى وصلوا إلى شاطئ البحر الأحمر ليركبوا سفينة صغيرة

صيفتنا اليوم صحابية جليظة كانت من السابقات إلى الإسلام هاجرت الهجرتين، وصلت إلى القلبتين، كتب الله تعالى لها أن تتزوج ثلاثة من المبشرين بالجنة، لعلمك تتساءلون من هي تلك الصحابية إنها أسماء بنت عميس الخثعمية.

سأبدأ الحديث عنها من هذه القصة كانت جالسة ذات يوم مع أم المؤمنين حفصة تتسامران وتتذكران أيام الصبي الجميلة التي قضياها في مكة، ماهو إلا القليل حتى جاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاستأذن ودخل إلى بيت ابنته حفصة وعندها أسماء بنت عميس، هلل عمر لرؤية أسماء زوجة الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب ورحب بها في يفرج مدينة النبي صلى الله عليه وسلم بعد غياب ثلاثة عشر عاماً في الحبشة، ولكن دقائق الصفاة في تلك الجلسة قليلة جداً، ماثلت بعدها أن شاب الجو شبيهاً من العكر والغضب، لقاتل أن يقول من غضب ممن ولماذا؟

مداعية عمر

"إنها أسماء غضبت من عمر لأنه قال لها: "لقد سبقناكم بالهجرة إلى المدينة يا أسماء، فحسن أحق برسول الله منكم" لربما أراد عمر من هذا أن يهز الورد ليشم رائحته، فهو يعرف أن أسماء ذات شخصية قوية لاتخاف في الله لومة لائم فهل غيرتها السنون ياترى؟ لا بل يبدو أن السنين زادتتها قوة وجرأة وثباتاً وثقة بالنفس، هذا ما اكتشفه عمر حين هبت أسماء واقفة وقالت بحماسة: "لا والله لستم أحق برسول الله منّا كنتم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يطعم جاثعكم ويعط جاهلكم وكنا بعيدين في



تزوجت ثلاثة رجال من أهل الجنة

الاعتكاف وتربية الاولاد

تعود إلى السيدة أسماء بنت عميس رضي الله عنها لئراها بعد وفاة زوجها تعتكف على تربية أولادها أحسن التربية، بعد أن انتهت عدتها عرض عليها النبي صلى الله عليه وسلم الزواج من أحد كرام الصحابة، قد يستغرب البعض اليوم ويستغرب أن تتزوج الأرملة ويظن أن عليها أن تقضي بقية عمرها هيمنة تربية أولادها وتزويجهم لتقضي ما تبقى من حياتها بعد ذلك وحيدة دون مؤنس أو حتى معين، لكني أقول هذه النظرة ليست نظرة الإسلام والدليل: لقد عرض النبي صلى الله عليه وسلم على أسماء أن تتزوج مرة أخرى فقبلت وكانت البارزة في ذلك العصر هي إقدام الرجال على خطبة النساء الأرامل والمطلقات لإعاتهن ورعايتهن هن وأولادهن، قد يقول البعض ألا يستطيع المسلم أن يرعى الأرملة ويساعد الأرملة إلا بشرط أن يتزوجها؟ أقول طبعاً بلى، لا يشترط الزواج للمساعدة.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحدث على العناية بالأرامل ويشبه الساعي على الأرملة والمسكين حسب ما روى الإمام مسلم في سبيل الله وبالقاتل بصلاة الليل لا يفتر وبالصائم لا يفطر. لكني لا أتحدث الآن عن هذا النوع من العونة بل أتحدث عن حق الأرملة في أن تختار الطريق التي ستقضي بها بقية حياتها ما دام ذلك في الحلال دون أن يلاحقها المجتمع بنظرات العار وعبارات الاتهام، ولكن من هو العريس اختاره النبي صلى الله عليه وسلم لأسماء بنت عميس إنه رفيقه وصديقه وخليه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وهل هناك خير من أبي بكر زوجاً بعد جعفر، طبعاً قبلت أسماء رضي الله عنها وزفت إلى أبي بكر رضي الله عنه والفرحة لا يسعنا إلا أن نتخيلها أنها فرحة بهذا الزواج وإن كان في قلبها غصة لفراق جعفر ولكن إن الله وإنا إليه راجعون.

لا تحتاج أيضاً كثيراً إلى أن تتصور حياة أسماء مع أولادها في بيت أبي بكر فما حمله أبو بكر بين جنبين من رحمة ورفاة وعطف وحب يجعلنا نؤكد أنهم عاشوا لدية كأفضل ماتعيشه الزوجة في بيت زوجها وأفضل مايعيشه الربائب في حجور أزواج أمهاتهم، إن محمد بن أبي بكر هو ولد من أسماء بنت عميس، أما محمد بن جعفر فهو ولد أسماء من زوجها الأول جعفر بن أبي طالب.



صاحبة خلق ونكاه



احبت رسول الله جدا



انجبت اول مولود في الحبشة للمسلمين